

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقا
فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل ورحلة (٥٣) سنة في القضاء ..

الحكم بالشرعية .. واستقلال القضاء .. أبرز مميزات القضاء في المملكة

حوار مندوب المجلة :

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى - سابقاً - عايش القضاء لفترة جاوزت الخمسين عاما تنقل بين مناطق المملكة وعمل في أكثر من موقع وعايش تطور القضاء وتطور الأنظمة القضائية.. ولكي نقف على تفاصيل هذه الرحلة الطويلة يسرنا أن نلتقي بفضيلة الشيخ في هذا الحوار ..

- كيف بدأت رحلتكم العلمية والعملية؟

قال فضيلة الشيخ لما كان أواخر عام ١٣٥٣هـ أوعز الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عمر بن سليم - رئيس قضاة منطقة القصيم - بأن يختار من طلبة العلم ذوي الكفاءة والمعرفة لبعثهم إلى منطقة جازان ليكونوا قضاة ودعاة ومرشدين فأختار الشيخ عمر اثني عشر رجلا من طلبة العلم كنت أحدهم ومنهم عمي الشيخ عبدالرحمن بن عقيل، فسافرنا مع الشيخ عمر وحججنا عام ١٣٥٣هـ ومكثنا بعد الحج بمكة قرابة ثلاثة أشهر، وكنت في هذه المدة أتتبع حلقات العلماء والمشايخ في الحرم وأستمع إلى دروسهم، ومنهم محمد أمين الكتبي، ومحمد عبدالرزاق حمزة، والشيخ عمر حمدان المحرسي التونسي، كما حضرت جلسات رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ في مجلسه بالداودية المطلة على الحرم.

أبرز الأعمال

■ وما الوظائف التي التحق بها فضيلة الشيخ؟
١ - في ربيع الأول عام ١٣٥٤هـ صدرت تعيينات المشايخ المنتخبين من قبل الشيخ ابن سليم فتم تعييني مع عمي الشيخ عبدالرحمن العقيل في مدينة جيزان، والشيخ عبدالله بن عودة السعودي في مدينة صبياء، والشيخ عثمان بن حمد المضيان في مدينة أبو عريش، والشيخ عبدالرحمن المحميد في مدينة صامطة ومع كل منهم اثنان كدعاة ومرشدين. وكنت طيلة إقامتي بجيزان أتولى الإمامة والخطابة والتدريس وأعمال الحسبة إضافة إلى عملي مع عمي قاضي جيزان، حيث مكث على هذا قرابة ثلاث سنين.

■ وما المحطة الأخرى بعد جيزان؟

- وفي عام ١٣٥٧هـ رجعت إلى عنيزة ولازمت شخي الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ملازمة تامة

– صدر الأمر من الملك عبدالعزيز رحمه الله بنقلي إلى قضاء الخرج خلفا للشيخ سالم الحناكي فباشرت في محكمة الخرج في رمضان عام ١٣٦٥هـ القضاء والإمامة والخطابة وتدریس الحسبة وكنت مدة قضائي في محكمة الخرج على اتصال بسماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ، حيث هو الذي رشحني لهذا المنصب، كما كنت على اتصال بسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز قاضي الدلم فكنت أزوره وأستفيد منه. وبعد أن أمضيت قرابة سنة في الخرج أمر الملك عبدالعزيز رحمه الله بنقلي إلى الرياض وباشرت العمل في محكمة الرياض في شوال عام ١٣٦٦هـ مع الشيخ إبراهيم بن سليمان والشيخ سعود بن رشود، مكثت في محكمة

الرياض قرابة خمس سنين.

■ وهل طال بكم المكث في الرياض؟

– في آخر سنة ١٣٧٠هـ أمر الملك

عبدالعزیز رحمه الله بنقلي إلى قضاء محكمة عنيزة خلفا للشيخ عبدالرحمن بن عودان، فباشرت فيها، وكنت في مدة قضاء عنيزة على اتصال بسماحة الشيخ عبدالله بن حميد قاضي بريدة، حيث أزوره وأستفيد منه ومكثت على هذا قرابة خمس سنين.

العمل في الإفتاء

■ ومتى عملتم في دار الإفتاء ومتى انتقلتم لها؟

– حينما أنشئت دار الإفتاء صدر أمر الملك سعود بنقلي إلى عضوية دار الإفتاء بترشيح من سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ وباشرت فيها في ١٣٧٥/٩/١هـ فعملت فيها مع سماحة المفتي الشيخ محمد ابن إبراهيم حتى توفي في عام ١٣٨٩هـ – رحمه الله – وقد أمضيت معه

واستمرت على طلب العلم وحفظ المتن ومراجعة الشروح ومطارحة المسائل مع أخوان كبار تلاميذ الشيخ مثل محمد بن عبدالعزيز المطوع ومحمد المنصور الزامل وعبدالله المحمد العوهلي وسليمان البراهيم البسام وحمد المحمد البسام وغيرهم.

■ وهل استمر هذا الوضع طويلاً؟

– لما كان في رجب عام ١٣٥٨هـ أبرق الملك عبدالعزيز رحمه الله لأمير عنيزة بأن يكلف الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل بالتوجه للرياض، فلما وصلت الرياض أزموني بقضاء أبو عريش خلفا للشيخ محمد بن عبدالله التويجري، فسافرت وباشرت العمل في أبو عريش وتوليت القضاء والإفتاء والإمامة والخطابة والدعوة والإرشاد بفضل الله.

■ وهل طال مكوثكم في أبو عريش؟

– جرى نقلي إلى قضاء فرسان فسافرت إليها بحراً في سفينة شرعية وباشرت

القضاء فيه بتاريخ ١٣٦٠/٣/٧هـ ولم تطل بي المدة فيها أكثر من سبعة أشهر تنقلت فيها بين تلك الجزر للقضاء والدعوة والإرشاد، حيث صدر الأمر بنقلي إلى قضاء أبو عريش مرة ثانية فانقلت إلى أبو عريش وباشرت العمل فيها بتاريخ ١٠/١/١٣٦٠هـ وكان لي جولات على قرى جيزان والاجتماع بعلمائها وأدبائها والأخذ عنهم مثل قاضي جيزان السابق علي بن محمد السنوسي وقاضي أبو عريش السابق عبدالله بن علي العمودي، وقاضي صيبا البهكلي، والأديب محمد بن أحمد العقيلي، والفقير عقيل بن أحمد حنين والشيخ علي محمد صالح عبدالحق والشيخ علي بن أحمد عيسى وغيرهم.

■ وما المحطة الثانية بعد أبو عريش؟

عملت مع جلالة الملك عبدالعزيز والملك سعود والملك فيصل والملك خالد والملك فهد

لقاء

محكمة تمييز. وبعد انتقال الشيخ محمد الحركان إلى رابطة العالم الإسلامي سنة ١٣٩٥هـ خلفه سماحة الشيخ عبدالله بن حميد رئيسا للمجلس، وتم تعييني رئيسا للهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى حيث أنوب عن الرئيس أيام غيابه، واستمرت على هذا حتى أحلت على التقاعد في رجب سنة ١٤٠٥هـ لبلوغي السن النظامية.

لا زلت أعمل

■ وبعد هذه المرحلة الطويلة في المجال العملي هل تركتم الأعمال بشكل نهائي؟

– لما وافق خادم الحرمين الشريفين على تأسيس شركة الراجحي المصرفية للاستثمار ليكون بنكاً إسلامياً بلا فوائد ربوية واختير لها هيئة شرعية تصح سير معاملاتها وتخلصها من شوائب الأمور الربوية اخترت رئيساً لهذه الهيئة والشيخ صالح الحصين نائباً للرئيس ومن أعضائها

الشيخ عبدالله البسام والشيخ عبدالله بن منيع والأستاذ مصطفى الزرقاء والدكتور يوسف القرضاوي والدكتور عبدالله الزايد والدكتور حمد الجنيد وقد باشرت الهيئة العمل بالشركة بتاريخ ١٤٠٩/٤/٨هـ.

أشهر مشايخي

■ ومن أشهر العلماء الذين طلبتم العلم على أيديهم؟
– أشهر مشايخي هم: الشيخ عبدالرحمن بن سعدي علامة القصيم، الشيخ عمر بن محمد بن سليم رئيس قضاة القصيم، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية، الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع قاضي عنيزة، الشيخ سليمان العمري قاضي الأحساء، الشيخ محمد أمين الشنقيطي والشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمهم الله جميعاً

قراية خمس عشرة سنة، وفي أثناء عملي بدار الإفتاء عهد إلي بإصدار صفحة الفتاوى التي تصدر في جريدة الدعوة الأسبوعية، كما رشحتي سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم لعضوية مجلس الأوقاف الأعلى فكننت مندوب دار الإفتاء في المجلس، ولما أعيد تشكيل مجلس الأوقاف رشحتي وزير العدل الأسبق الشيخ محمد الحركان لعضوية المجلس ومكنت في المجلس حتى أحلت على التقاعد.

الهيئة القضائية

■ ومتى عملتم في الهيئة العلمية وهيئة التمييز والهيئة القضائية؟

– لما توفى سماحة المفتي في عام ١٣٨٩هـ كلفت برئاسة الهيئة العلمية التي شكلها الملك فيصل رحمه الله للنظر في المعاملات التي كانت تحت نظر سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – ومن أعضائها أصحاب الفضيلة

الشيخ محمد بن عودة والشيخ عبدالله بن منيع والشيخ راشد بن حزين والشيخ عمر بن مترك. وبعد انتهاء أعمال الهيئة العلمية أمر الملك فيصل رحمه الله بنقلي إلى هيئة التمييز في الرياض التي يرأسها الشيخ عبدالعزيز بن رشيد رحمه الله فباشرت فيها بتاريخ ١٣٩١/٩/١هـ. وفي عام ١٣٩٢هـ انتقلت من هيئة التمييز إلى الهيئة القضائية العليا التي يرأسها معالي الشيخ محمد بن جبير.

مجلس القضاء الأعلى

■ ومتى عملتم في مجلس القضاء الأعلى؟

– لما تم تشكيل مجلس القضاء الأعلى برئاسة معالي الشيخ محمد الحركان وذلك في شعبان ١٣٩٥هـ عينت عضواً في المجلس بدرجة رئيس



وغيرهم.

التطور القضائي

■ يلتزم ولاية الأمر في المملكة بتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة فسعدت البلاد بذلك بالأمن والاستقرار والرفاه، هل لكم من كلمة عن تطور تنظيم القضاء في هذه الديار الخيرة؟
- كان التقاضي في بلدان نجد وما حولها في عهد الدولة السعودية الأولى سنة ١١٥٧هـ أعني عهد الإمام محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود رحمهما الله، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وكان الإمام محمد بن عبدالوهاب يتولى القضاء والافتاء والتدريس والدعوة إلى الله وله

نواب يختارهم في البلدان الأخرى، وكان تنفيذ ذلك من قبل الإمام محمد بن سعود ونوابه على اقليم نجد وما حولها، وكانت أساليب القضاء يسيرة تتناسب مع طبيعة أهل ذلك العصر فكان الخصوم يحضرون لدى القاضي برضاهم فيسمع كلامهم ويحكم بينهم أو يصلح بينهم صلحا شفهيًا فيقوم الخصمان راضيين بذلك من دون كتابة وثيقة ولا حكم، وربما حضر الخصمان لدى القاضي في المسجد أو في منزله أو وهو يمشي في الشارع ونحو ذلك فكانت معظم المحاكمات تجري على هذا النمط إلا ما كان يحتاج إلى توثيق ويتعلق بالعقارات والأوقاف والقضايا المهمة فهذا يحرر فيه وثيقة عادية مستكملة للشروط المطلوبة ويختتمه القاضي بختمه ثم يؤيده الإمام بختمه وتصديقه ويتولى تنفيذه. هكذا جرت الأعمال في الدولة السعودية الأولى والثانية، وصدر من عهد الدولة الثالثة التي أسسها الملك عبدالعزيز بن

عبدالرحمن الفيصل رحمه الله في سنة ١٣١٩هـ وبعد ضم الحجاز في عام ١٣٤٣هـ واستكمال بناء الدولة جرى تنظيم أعمال الدولة تنظيمًا يتلاءم مع تطورات الحياة الحديثة ونمو الناس ومن ضمن ذلك تنظيم المحاكم الشرعية

وكتابة العدل، حيث صدرت الأنظمة والتعليمات متتابعة. مميزات القضاء في المملكة ■ وما أبرز ميزات القضاء في المملكة؟

- أهم ميزات القضاء في المملكة العربية السعودية :

أولاً: استقلال القضاء استقلالاً تاماً من جميع النواحي خالياً عن أي تأثير، وأن الناس فيه سواسية سواء الأمير والمأمور حتى الأمراء إذا كان لهم خصومات يحضرون إلى المحكمة بأنفسهم أو وكيلهم.

ثانياً: الحكم بالشريعة الإسلامية متجرداً من أي تقاليد وأعراف أو وساطات.

ثالثاً: عدم إلزام القاضي بأن يحكم بنهج معين فيتترك له الاختيار ليحكم بما يفهمه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأقوال علماء الشريعة الإسلامية مع أن الجميع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

رابعاً: إن المجتمع السعودي مقتنع ومسلم بوجوب التحاكم إلى الشريعة الإسلامية كجزء من عقيدة الإيمان تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

■ عاصرت القضاء لعدة سنوات فماذا بقي في الذاكرة؟

- لقد عاصرت نظام القضاء في المملكة العربية

تتلذت على السعدي وابن سليم وآل الشيخ والشنقيطي وآخرين

حضرت جلسات رئيس القضاة عبد الله بن حسن آل الشيخ عام ١٣٥٣هـ

أو على الجمال الرويكب المقطورة وحالة المعيشة فيها شيء من الضيق وكان في الماء قلة يؤتى بها على الجمال من بئر في قرية عمير تبعد عن جيزان مقدار كيلو متر بتك مصدية ومنخرقة ومرقعة بسدادات من الخيش ونحوه، أربع تنكات بريال فالماء عندهم أغلى من السمن، «بمعنى أن صاحب البيت يشتري سمنا للعشاء ذلك اليوم بمبلغ ولا يكفيه من الماء إلا ضعف ثمن السمن».

الرواتب والأجور

■ وكيف كانت الرواتب والأجور في ذلك الوقت؟

- كانت القلوب طيبة والناس بينهم تعاطف وتسامح عند التقاضي ويقنعون غالباً بما يعرضه القاضي بينهم من الصلح في خصوماتهم وكانت الرواتب تصرف باسم «قروش» نيكل صرف الريال ٢٢ قرشاً وربما يتأخر صرفها شهرين أو ثلاثة، وكانت تأتي من جدة لجميع موظفي منطقة جيزان وربما صرفوا للناس رواتبهم أكياس ملح من منجم الملح الذي في جيزان، فيخير الموظفون هل تحب أن تنتظر أم نصرف لك ملحاً تبيعه وتتصرف فيه؟ وكان لنا اجتماعات مع طلبة العلم والمشايخ والأدباء في جيزان مثل قاضي جيزان السابق علي محمد السنوسي، وابنه الأديب الشاعر محمد علي السنوسي، والأديب المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي وشيخهم الفقيه عقيل بن أحمد حنين والشيخ علي محمد صالح عبدالحق والشيخ علي بن أحمد عيسى وقاضي أبو عريش السابق عبدالله بن علي العمودي وأبنائه، والشيخ إدريس والشيخ عبدالرحمن الحفاف والشيخ البهلي وغيرهم، نتزاور ونتذاكر ويحصل بالاجتماع حصيلة علمية مباركة.

■ لكم إسهامات في مجال الفتيا.. هلا أقيمت الضوء على تلك الإسهامات وأين كانت؟

- عن موضوع فتاوى مجلة الدعوة أصلها جريدة يومية والذي تبني إصدارها سماحة الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله،

السعودية منذ عام ١٣٥٤هـ، حينما كلفت بالعمل مع عمي الشيخ عبدالرحمن العقيل، وهو أول قاض نجدي يتولى القضاء في منطقة جيزان.

وعملت مع خمسة من ملوك آل سعود أعزهم الله أولهم الملك عبدالعزيز ثم ابنه الملك سعود ثم الملك فيصل ثم الملك خالد رحمهم الله ثم خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز أيده الله وذلك في مدة ٥٣ سنة تقريباً أولها ١٣٥٤هـ وآخرها ١٤٠٥هـ ثم مدد لي سنة ١٤٠٦هـ.

■ وما أبرز المواقف التي لا زلت تتذكرها؟

- عندما عينت مع عمي الشيخ عبدالرحمن بن عقيل لقضاء جيزان وعند وصولنا إليها استقبلنا أميرها تركي بن أحمد السديري بالحفاوة والإكرام ونزلنا مع عقبة ضلاع على حمير وهي الوسطة في التنقلات وذلك لعدم توفر السيارات خصوصاً مع عقبة ضلاع تلك العقبة الصعبة، وأما الآن فقد بذلت الحكومة أيدها الله في تسهيل هذه العقبة الجهود الجبارة والأموال الطائلة والمعدات الهائلة وفتحت الأنفاق وأنشئت الكباري حتى سهلت سلوك السيارات معها وكم لهذه الدولة أيدها الله من أمثال هذه المشاريع النافعة وكان مرورنا على الشيخ محمد بن هادي صاحب قرية الدرب ثم ذهبنا إلى أم الخشب في بيش ووجدنا شيخهم قاسم العكفي ثم الملحاً فالسلامة فصبيا فجزان كل هذا على الحمير. القصد أننا وصلنا جازان في أول ربيع الأول ١٣٥٤/٣/١هـ ووجدنا الأمير حمد الشويعر مريضاً لم يلبث أن توفي رحمه الله ونزل الأمير تركي السديري من أبها ليقوم بعمل الإمارة حتى يتعين لها أمير جديد ولما وصل الأمير عبدالله بن محمد بن عقيل.. أميراً لجزان، رجع السديري إلى أبها وتفرق الأخوان إلى مراكزهم في جيزان وصبيا وأبو عريش وصامطة وقاموا بأعمالهم، وأحبهم الناس وألّفهم واقتنعوا بأرائهم وأحكامهم وارشاداتهم. وكانت المواصلات إذ ذاك على الحمير

وباء عام.. الله أعلم أنه مرض (الكوليرا) أو مرض ما من جنسها وعم بلدان نجد وغيرها ومات خلق كثير وعالم لا يحصيهم إلا الله ويقول بعضهم بأنها آثار مخلفات الحرب العالمية الأولى التي وقعت سنة ١٣٣٣هـ وكثر الموتى وانتشرت الجثث وسرى الوباء من بلد إلى بلد حتى حصل ما حصل والله أعلم.

رسالة لكل قاضٍ

■ هل من كلمة توجهونها إلى كل قاضٍ يتولى أعمال المسلمين؟

- القضاة - من فضل الله - أغلبهم على مستوى من العلم والعقل والسلوك الحسن والاستقامة وهم الذين يوجهون الناس ولكن بما أنكم أنتم هذا الموضوع فأقول: على إخواننا القضاة أن يشكروا الله ويؤدوا حق هذه النعم التي يتمتعون بها، فقد كان القضاة الأوائل يعملون في كل أوقاتهم وليس عندهم دوام خاص ويهتمون بجميع ما يهم البلد من القضاء والإفتاء وكتابة الوثائق وعقود الأنكحة ونحو ذلك وليس عندهم كتاب ولا موظفون ومع هذا ليس لهم رواتب شهرية ولا مقررات ذات أهمية إنما هو برذة من التمر زمان جوار النخيل وأصع من الحب أيام حصاد الزروع ومع هذا هم صابرون ومصابرون وبأدلون جهدهم في كل ما ينفع البلاد وأهلها احتساباً لوجه الله، أما الآن فقضاة هذا الزمان رتبت لهم الرواتب الشهرية وأثنت لهم المحاكم ووظف عندهم الكتاب والمراسلون فأصبحت معيشتهم ميسرة، فالحكومة أيدها الله بذلت لهم كل إمكانياتها فعليهم شكر الله والقيام بما عهد إليهم بنية صالحة واحتساب وبث العلم الذي أعطاهم الله والنصح والاجتهاد في أداء ما ائتمنوا عليه لأن القضاء منصب عظيم ووظيفة شريفة وفيها من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله إذا توفرت الشروط، ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾.

حيث أشار إلى جملة من أصحابه وأهل العلم بإصدار جريدة إسلامية تتبنى نشر المقالات الإسلامية والتوجيهات الشرعية وطلب منهم المساهمة فيها مادياً ومعنوياً فتجاوبوا معه وكونوا مؤسسة الدعوة واستقطب لها أهل الأقاليم والمفكرين وجعل رئيس تحريرها الأستاذ عبد الله بن إدريس فيما كان رئيس مجلس إدارة المؤسسة ومنذ إنشائها معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وما زال وقالوا أنذاك لا بد من صفحة للفتاوى الشرعية تجيب على استفتاءات الناس وبصفتي أحد تلاميذه وموظفاً عنده وعضواً في دار الإفتاء عهد إلي بإعداد صفحة الفتاوى فالتزمت بذلك، وصار جملة ما صدر من الفتاوى في فترات إصدارها ما يقارب ستمائة وسبعاً وخمسين فتوى ما بين مطولة ومختصرة في أصول الدين وفروعه وفي الأدب والتاريخ وغير ذلك وقد عرفت أن أبنائي أصلحهم الله قد اهتموا بإخراجها ونشرها لعل الله أن ينفع بها.

دروس علمية

■ هل لفضيلتكم دروس علمية تلقونها في المسجد أو المنزل وفي أي الفنون؟

- كنت منذ مدة طويلة أفتح بابي للإخوان وطلبة العلم وأرحب بمن يأتيني منهم للقراءة أو الاستماع ويأتيني جملة منهم يقرؤون في فنون متعددة في العقيدة وكتب أئمة الدعوة التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والنحو، بعضهم طلاب علم من الجامعة وبعضهم أساتذة وغيرهم وذلك بعد صلاة العصر والمغرب والعشاء يومياً في أغلب الأحيان وبعد صلاة الفجر وقبل صلاة الظهر وبعدها على حسب ما يناسب لكل منهم.

■ نسمع من أجدادنا عن «سنة الرحمة» التي كثر فيها الموتى بسبب الأمراض هل لكم أن تعرفونا بها حفظكم الله؟

- هذه السنة هي سنة ١٣٣٧هـ أصاب الناس